يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفود العرب ستقدَم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضًا، ويردّ بعضكم قول بعض. قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأيًا نقول به. قال: بل أنتم فقلوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن.. قال: لا والله ما هو بكاهن؛ ولقد رأينا الكهان فما هو بَزَمْزمة الكاهن ولا سَجْعه. قالوا: فنقول: مجنون.. قال: ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه ولا تخالجه ولا وَسْوَسته. قالوا: فنقول: شاعر.. قال: ما هو بشاعر؛ فقد عرفنا الشعر كله رَجَزَه وهزجه وقَرِيضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر.. قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لَعَذْق، إن فرعه لجناة[1]؛ وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر.. جاء بقول هو سحر؛ يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته..! فتفرقوا عنه بذلك.. فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم؛ لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه، وذكروا له أمره».

* * *

(١) قال السهيلي: هو استعارة من النخلة، التي ثبت أصلها وقوى، وطاب فرعها إذا جنى والنخلة هي العلق.